محور البحث: عادات وتقاليد الشعوب بين التقنيات والجماليات للحرف التراثية

حرفة صناعة المراكب التقليدية بمحافظة دمياط

توطئة

تعُد حرفة صناعة مراكب الصيد حرفة تقليدية توارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل، كما تنعكس عليها المأثورات الشعبية من عادات وتقاليد ومعتقدات، بالإضافة إلى الزخارف والرموز ....وغيرها من أوجه التراث الشعبي، فيلاحظ أن محافظة دمياط وتحديدًا "عزبة البرج" من أكبر الترسانات في صناعة مراكب الصيد التقليدية بجميع أشكالها وأحجامها، وبها من الخامات، والمواد، والأدوات والمعدات التي تستخدم في صناعتها، والتى يستخدمها كلَّ من صناع المراكب في صناعتها بالإضافة إلى الحرف والمواد المكملة لها من الحدادة، النقاشة، والقلافة، وزخرفة وتزيين المركب.

وتعتمد هذه الحرفة إلى حد كبير على العنصر البشري بمهارته ومعارفه المتوارثة والتي تتطور بما يتناسب مع العصر، وتعُد مصدرًا اقتصاديًا حيث إنها أحد المراكز الرئيسية لصناعة القوارب وبناء السفن في الشرق الأوسط، ويتم تصديرها إلى دول عدة في أفريقيا وآسيا حيث إن هذه الصناعة تتعرض لخطر الاندثار وذلك لغلبة المراكب المصنعة في المصانع العالمية.

مشكله البحث

تمثلت مشكلة البحث فى رصد حرفة صناعة المراكب في عزبة البرج بمحافظة دمياط تلك الحرفة التى أصابها الضعف الذى دل على إندثاره لتعرضها لبعض التغيرات كالأتى:

- إرتفاع أسعار الأخشاب وإستيراد معظم الأخشاب من الخارج أدى إلى إندثار حرفة صناعة المراكب التقليدية.
- سفر العمال المهرة إلى الخارج، وعدم توريث الحرفة إلى أجيال أخرى.

- وجود بدائل أخري للأخشاب لحرفة صناعة المراكب، مثل: الحديد والفيبر جلاس ولكنهم ذات اثمان باهظة.

أهداف البحث

1- رصد العمليات والتقنيات الفنية لمراحل صناعة المراكب الخشبية والطرق التقليدية المتبعة.

2- رصد الزخارف المستخدمة فى التشكيل علي المراكب ودلالاتها وتأثيرها على المجتمع.

3- تقديم رصد لحرف الصيد وما يتعلق بها من ممارسات.

مناهج البحث

المنهج التاريخي.

قامت الباحثة بتتبع أبعد نقطة يمكن الوصول إليها للوقوف علي تاريخ صناعة المراكب الخشبية الموجودة بعزبة البرج فضلاً عن تتبع التغيرات التي طرأت علي تلك الصناعة.

المنهج الوصفي والتحليلى.

يستخدم المنهج الوصفى فى رصد الظاهرة التطبيقية والثقافية ودلالاتها الفلكلورية والتوصف الدقيق لخطوات تصنيع مراكب الصيد ومكوانتها وخاماتها وزخارفها ووظيفتها التى أدت بالباحث إلى إعداد دراسة عن تلك الحرفه بوصفها حرفه شعبية، وقامت الباحثة أيضًا بتحليل الرموز والزخارف والكتابات المرسومه على المراكب.

أولاً : حرفة صناعة المراكب

ذهبت الباحث إلى عدد من المحافظات، وهي العريش، سفاجا، رشيد، الإسكندرية للبحث عن حرفة صناعة المراكب فلم تجد أكبر ترسانة في صناعة المراكب التقليدية حتى الآن إلا في عزبة البرج بمحافظة دمياط؛ حيث وجدت أكبر ترسانة إلى جانب وجود الحرف المغذية بنجارة المراكب، ووجد أن معظم أهل المدينة يعملون بتلك الحرفة أو في الحرف المرتبطة بها مثل الصيد

وأيضًا النشار الذي يقوم بتقطيع الأخشاب الطبيعية على حسب طلب النجار وتشذيبها، كما وجدت أيضًا القلفطي وهو الحرفي الذي يقوم بملء فرغات المركب الداخلية والخارجية بالكتان أو الحبل المقطرن؛ منعًا لتسلل الماء داخل السفينة كما وجدت أيضًاالحداد الذي يقوم بعمل الحديد الخاص بالمركب، ثم ننتقل إلى النقاش الذي يقوم بدهان المراكب ومعجنتها حسب اللون المطلوب من صاحب السفينة، كما وجدت ميكانيكي البحر وهو الذي يقوم بتركيب الرفاصات والمواتير والمولدات وأيضا الكهربائي المسئول عن توصيل الكهرباء وإنارة المركب بأكملها.

وأخيرًا الخطاط الذي يقوم بتزيين المركب وعمل رسومات ورموز تجلب الرزق وتحجب الحسد عن المركب، كما يقوم بكتابة الآيات القرآنية على المركب أيضًا، لحفظها من أي كرب يحدث لها عند نزولها إلى الماء ومواجهة أخطار البحار.

ولكل من هذه الحِرَفِ خاماتها الخاصة بها وكل هؤلاء الحرفيين يقومون بعمل السفينة على قدر كبير من الأتقان والدقة لاستعدادها لنزول البحر ومواجهة الأمواج والنوات والرياح، في بداية الصنع يقوم الحرفي أو صاحب الترسانة أو في الوقت الحالي المهندس أو المكتب الهندسي بعمل الطبلية، وهي "رسم تفصيلي للمركب على لوحة الرسم" وعمل الموديل وهو "ماكيت للمركب" المراد نجارتها. أما الآن فيذهب صاحب المركب أو صاحب الترسانة لمكتب استشارات هندسية ويتم رسم المركب على الكمبيوتر، وهناك مراحل لصناعة المراكب تتم على النحو التالي:

أ- رص الأخشاب.

ب- نجارة الخشب وتسويته ونقرالأرينة، وتركيب العمود عليها.

ج- عملية التقفيص وتلويح المركب.

د- عملية التقفيص وتلويح المركب.

ثانيًا: الأدوات والمعدات والماكينات المستخدمة في صناعة المراكب.

1- بنك النجار "التزجة".

بنك النجار من المعدات الأساسية اللازمة لمهنة النجارة ؛ فهو المكان الذي تتم عليه جميع العمليات المختلفة، وكذلك يمكن حفظ الأدوات والمعدات بداخله، ويصنع من خشب الزان أو البلوط، ويتكون البنك من **جزأين رئيسيين:**

أ- القرصة: وهي عبارة عن الجزء العلوي المسطح الذي تتم عليه عمليات النجارة المختلفة، ويحتوي على بعض المعدات التي تساعد النجار على القيام بعمله مثل: الكارو، وخوابير البنك، وبحرالبنك، والفتيلة وتستخدم لتثبيت الأخشاب، والتقفيصة، والفتيلة المعدن، وخدام البنك الخشبي.[1]

ب- الدولاب: ويخصص لوضع عدد وأدوات النجار بداخله.

2- أدوات القياس والعلام.

إن القياس الدقيق والعلام (أي التأشير بالعلامة) المضبوط أمران لا غنى عنهما في جميع مراحل التشغيل في النجارة، وقد تتسبب عدم الدقة في القياس في إتلاف العمل كما يقول الإخباري: "أن تقيس مرتين خير لك من أن تنشر مرتين"، ويتعين تحديد وعلام (تأشير) الأبعاد على إحدى الأدوات التالية: القلم الرصاص، وشوكة العلام، والبرجل الكري، والشنكار بالإضافة إلى محدد العلام المتحرك ذي السن.[2]

3- أدوات النشر والقطع.

من الأدوات الأساسية في حرفه النجارة. (جدول رقم 4).[3]

أ- سراق: يوجد على السطح العلوي للصفيحة غلاف من النحاس أو الحديد؛ حيث تعمل على جعل الصفيحة مستقيمة؛ لأنها رقيقه تستخدم في النشر بالعرض والخدش، وعدد أسنانها 12:10سِنَّة في البوصة.

---

[1]محمد أحمد الحسيني: فن نجارة الأثاث المنزلي، الصناعات الحرفية الصغيرة، صـ17.

[2]عبد المنعم عاكف: أشغال النجارة العامة، الأسس التكنولوجية، صـ23.

[3]مطصفي جاد، أحلام أبو زيد: المرجع سابق، صـ86.

ب- ساحفة: منشار من الصاج وعدد أسنانه 16سِنَّةفي البوصة وكل الصفيحة من 8:4 بوصة ويده من الخشب ملفوفة وتستخدم لقطع الأشياء الرفيعة.

ج- منشار الإفريز: السلاح سميك ضيق ومدبب من نهايته، ويقطع بالاتجاه الأمامي، يستخدم في نشر الثقوب المستديرة والزاوية- أسنانه غير مفلجة.

4- أدوات النحت.

في عصرنا الحديث عصر التكنولوجيا لم تعد للبلطة أهمية كما كانت في الماضي، ومع ذلك مازلنا نستخدمها حتى الآن في أعمال كالقطع، نحت الأخشاب الخام، فضلًا عن فائدتها كأداة للقطع، والحد القاطع في سلاح البلطة الصغيرة ذو حد محدب ومقبض قصير، أما البلطة ذات الحافة العريضة والمشطوفة من جانب واحد فتستخدم في تسوية وتشذيب جذع الشجرة بعد قطعه.

5 القَطْعُ والبَرْدُ

تشتمل أدوات النقر على الأزاميل بمختلف مقاساتها والمناقير والمظافير (الدفرة)، وتستخدم هذه الأدوات في تفريغ جميع أنواع النقر واللسان في مختلف التعاشيق، وتتكون أدوات القطع من سلاح صلب ينتهي بطرف حاد مشطوف قاطع وله يد من الخشب أو البلاستيك، تستخدم جميعها في عمليات التفريغ في الخشب لعمل أنواع التعاشيق المختلفة(صورة رقم 1).

صورة رقم (1)

أدوات القطع والبرد

6- عدد المسح والتصفية.

يشتمل هذا الجزء على عدد من الفارات،وهي العُدُد الخاصة بمسح الأسطح المستوية والفارات الخاصة بالأسطح المنحنية والفارات الخاصة بالتشكيل.

7- أدوات الربط والفك.

تستخدم المفكات في فك وربط المسامير المختلفة وسن المفك وهو إما المبطط أو على هيئة صليبة من أعلى والطرف الآخربه نتوء ليمنع السلاح من اللف (صورة رقم 2)، ويوجد منه أنواع، هي: (مفك عادة - مفك صليبة - مفك خاص).

صورة رقم (2)

مجموعة من المفكات

8- أدوات التغرية.

هناك أنواع مختلفة تستخدم في تغرية القطع الخشبية وتثبيتها معً سواء في عمليات التصنيع أو إعادة تغرية المشغولات ولها أنواع ومقاسات مختلفة حسب المساحة والموقع المراد تغريته، وهي عبارة عن حزمة من الشعر (شعر حيوانات وخاصة شعر الخيول) أو من الألياف النباتية، مثبتة في مقبض خشبي بواسطة جلبة أو حلقة معدنية غير قابلة للصدأ، ويجب تنظيفها بالماء بعد كل استخدام؛ لأنها تتصلب وتتلف إذا لم يتم تنظيفها وإزالة الغراء من بين شعيراتها، ويفضل أن تكون مغمورة بالماء دائمًا لحين استخدامها. ويوجد

9- أدوات التشطيب.

أ- السنفرة.

وهي عبارة عن ورق من نوع خاص أو قماش من نوع متين يغطي أحد أوجهها بطبقة من المساحيق لبعض الأحجار مثل" الجرانيت" أو الزجاج المجروش أو"كربيد السليكون"، وتثبت على القماش أو الورق بمادة لاصقة. وتوجد السنفرة على شكل أفرخ أو لفائف أو أقراص ومن أنواعها: سنفرة خشابي، وسنفرة حدادي للمعادن، وسنفرة دوكو.

10- أدوات الألفطي.

هي العدد والأدوات التي يستخدمها الألفطي في المركب، وتتكون من: (جدول رقم 7)[1] .

الأداة	الاستخدام	الصورة
مشولة أو دقماق	وتصنع من الخشب ولها رؤوس ذات أشكال مختلفة، منها: المنشورية، الملفوفة، البرميلية.	
شاكوش	وهو مكون من جزأين: رأس من الصلب الصلد ويقوم بدق المسامير به.	
عواقة "كماشة"	لإخراج المسامير.	

[1] أخباري رقم (4).

سراق "تمساح"	توجد منه مقاسات مختلفة ويتكون من يد خشبية مغلقة، وسلاح سميك من الصلب ويستخدم غالًبا في الشق الطولي للخشب.	
إزميل "أجنة"	لقطع الخشب بها، وهو مكون من يد وسِلاح وله عدة أشكال وينتهي طرفه بحد قاطع.	

11- المعدات الكهربائية.

وهي الآلات التي تعمل بالطاقة مع سهولة التعامل معها باليد، وقد أصبحت ذات أهمية كبيرة بالنسبة للنجار، هذه الآلات تدار بقوة آلية من محركات أو موتورات كهربائية صغيرة يمكن أن توصل عن طريق أسلاك إلى المصدر الرئيسي. وموتورات هذه الآلات مصممة لكي تعمل بتيار(50 دورة) عند جهد 240فولتً ا.وهي: (فارة التخدد – ماكينات السنفرة – المنشار الشريطي – المثاقيب الكهربائية – ماكينة الرابوه).

ثالثاً: جماليات الرسم والتلوين والزخرفة على المراكب.

تمكن العرب من فن النقش والزخرفة، وقد ورد في الكثير من المؤلفات العربية معلومات عن أصول هذه الصناعة فنيًّا وكميائيًّا من حيث تحضير الألوان وكذلك أنواع الطلاء وعمل الألوان، وقد توارثت هذه الصناعة من جيل لآخر، وكانوا يقومون بطلاء جميع أنواع المراكب وتزويدها بالزخارف الملائمة لكل مركب كما يستخدمون الكتابة على المراكب كعنصر زخرفي مصاحب لزخرفة المراكب، وذلك في حالة كتابة المأثورات الدينية والآيات القرءانية أو كتابة إسم صاحب المركب وأحيانًا اسم النقاش أو الصانع الذي تخرج من يده المركب.[5]

صورة رقم (3)
أحد الرسامين يقوم بالرسم على المركب

1- الرسام الشعبي.

الرسام الشعبي يبدع أعماله الفنية ويمزجها بالبيئة الشعبية، التي عاش فيها وتأثر بها، فهو دائمًا يعبر بصدق وعفوية عن حياته الاجتماعية، وأفكاره الاعتقادية بأسلوب متميز له صفة التلقائية والعراقة والحيوية والجماعية؛ فهو يرسم ببساطة وتلقائية على السطح دون تخطيط مسبق، وهو لا يختص بمكان محدد في رسمه، فقد

صورة رقم (4)
الرسام الشعبى وتزينة لأحدى المراكب

[5] مصطفى فريد الرزاز: دراسة الزخارف الشعبية في العربات الخشبية وأثره في تدريس التربية الفنية في المرحلة الاعدادية, جامعة حلوان: معهد التربية الفنية, أطروحة (ماجستير), 1972.،صـ195،160.

يرسم على الأبواب أو المداخل أو أسوار المنازل، وعلى جدران المقاهي محققًا بذلك قيمة نفعية وجمالية في الوقت نفسه؛ فإنتاجه الفني ليس ملكًا له وحده بل هو ملك الجماعة (صورة رقم 3،4).

أ- من أهم ميزات الفنان الشعبي.

- أنه فنان اجتماعي بطبيعته يعيش ويعمل في جماعات.
- كما أنه فنان محافظ تسير أشكاله على وتيرة واحدة.
- لا ينقل الفنان الشعبي من نموذج أمامه.
- يتعامل الرسام الشعبي بحرية مطلقة في مساحة الفراغ التي أمامه .
- الرسوم الجدرانية للفنان الشعبي مسطحة ومبسطة.
- نادرًا ما يوقّع على أعماله.

2- خطاط المركب

بعد الانتهاء من مرحلة دهان المركب باللون المطلوب حسب طلب صاحب المركب تأتي مرحلة تزيين المركب بالرسم والكتابة عليه لبعض الأمثال الشعبية الخاصة بمعتقداتهم وبعض من الآيات القرءانية الخاصة لدفع الحسد والعين عن المركب وصاحبها وحمايتها من الغرق، ورسم بعض الرموز الخاصة بالرزق، وهنا يطلب صاحب المركب من الخطاط كتابة الآيات القرءانية والرموز، مثل: العين، والكف: ورَسم الكف كرمز لإبعاد الحسد و شر العين و لذلك يقرن رسم العين برسم الكف فيرسم الكف مفتوحا في وسطه عين تكتب تحتها كلمة (يا حافظ) أو(خمسة خميسة)، والسمك: رمز التكاثر، وه و رمز قديم يعني التجدد و الخير و العيش الرغيد وترمز لسعة الرزق وجلب الحظ و الخصوبة. والسمكة رمز للتجديد والأدلة في الميثولوجيا "علم الأساطير"، ففي الأساطير العربية والحضارات السامية وفي المعتقدات الدينية السماوية، غالباً ما يدل هذا المخلوق على الانبعاث. انه رمز عرف في الأساطير الفرعونية، ونسج في المنسوجات القبطية، ورسم على

الخزف الإسلامي وصور في الرسم الشعبي على جدران المراكب، وايضًا كتابة اسم المركب، ومن هنا لاحظت الدارسة إن الخطاط يقوم بالرسم على المركب من الخارج فقط لزخرفتها.

3- التراث الشعبي وجماليات حرفة صناعة المراكب التقليدية.

أن مصر غنية بالفنون الشعبية التي تنبع من صميم الحياة الشعبية، وتتمثل في الرسوم التي يرسمها الفنان الشعبي على جدران المعابد، والوشم وفوانيس رمضان وعلى جدران المراكب، ويضيف إليها الفنان الشعبي بين وقت وآخر بعض المبتكرات الجديدة، وقد يتحرر من بعض تقاليد الوحدات القديمة، وقد يرتقي مستوى بعض هذه الفنون، وقد تتدهور متأثرة في ذلك باحتياجات الحياة المتغيرة باستمرا وكثيرًا ما ترمز الأشكال المختلفة في الفن الشعبي إلى أسطورة وطنية أو معتقد فكري، كما قد تشير الألوان المستخدمة إلى معان خاصة رمزية متصلة بالفطرة الإنسانية، كما يؤدي اللون دورًا أساسيًّا في فن التصوير الشعبي الذي يتميز بألوانه الفطرية الأولية، فعلى الرغم من أن لكل بيئة رموزها إلا أنها تتفق جميعها في صراحة اللون؛ فالأحمر والأصفر والبرتقالي والأسود والأبيض والأزرق هي الألوان السائدة في الفن الشعبي في أي مكان. فاللون في الفن الشعبي رمز للبيئة، ورمز للفنان وطبيعته البسيطة وأسلوبه المباشر في معالجه الأشياء؛ لهذا فالفنون الشعبية تتخاطب جميعها بلغة لونية تكاد تكون واحدة وبأسلوب فني واحد. فالفنان الشعبي يستخدم ألوانًا تجريدية نابعة من البيئة، معبرًا عن تقاليدها وتحمل دلالات رمزية وتفسيرات معروفة لديه، وذات تأثير نفسي على من يشاهدها متأثرا في ذلك بأفكاره العقدية والتقاليد الشعبية المتوارثة.

4- دراسة تحليلية لبعض رسوم المراكب.

تقوم الدارسة فى هذه الفقرة بتحليل بعض الرسوم والكتابات والرموز المرسومة على ظهر عدد من المراكب بعزبة البرج محافظة دمياط، لتأكد من خلال ذلك أن الفنان الشعبي يرسم بعض الرموز الخاصة بالحياة على مركبه لدلآلات خاصة به، و بمجتمعه المحيط به، وقد يكون مناسبًا أن يُعرض تحليل لبعض زخارف المراكب كما يلي:

صورة رقم 1

قام الفنان الشعبي بكتابة مجموعة من الآيات القرآنية؛ ففي هذه الصورة كتب على مركبه "وما توفيقي إلا بالله"، و"الله ستار"، "ولا إله إلا الله " (صورة رقم 5) للحفاظ على المركب من الغرق ومواجهة أخطارالبحر؛ ولتحقيق الغرض الاعتقادي ويلاحظ أنه إستعان بخطاط دارسي لقواعد الخط في هذا المجال وفي أمثلة آخرى قد يكتبها بنفسه.

صورة رقم(5)

وأيضًا رسم العين لصد الحسد والإيذاء وذبذبات الشر، وقام برسم الجامع بألوان متعددة مثل اللون الأزرق الذي يرمز للصداقة والحكمة والخلود، ويرمز أيضًا للبحر والسماء ويوحي بالثقة والسلطة، واللون الأحمر الذي يرمز للحب والقوة والنشاط، أما إضافة لمسة من اللون الأزرق إلى الأحمر فيوحي بالتألق والحماس.. وفي النهاية كتب اسم صاحب المركب لتعظيمه، وهو "الأمير محمد الأول" وقام أيضًا برسم بعض النباتات رمزاً للرزق والازدهاروقام بتلوينها باللون الأخضر رمزًا للخير والإيمان والتفاؤل.

صورة رقم 2.

في تلك الصورة قامت الدارسة بتصويرذلك المركب ويعُد المركب من المراكب متوسطة الحجم، الألية التى تدار بموتور داخلي ورفاص ومروحة وهو من مراكب التنزه حيث يتكون من طابقيين لأخذ أكبر عدد من البشر بداخله، ووجد عليه زخارف من جانبي المركب وهنا قام الفنان برسم الحصان وهو من الحيوانات التي يعتز الشعبيون بها نظرًا لصفاته النبيلة، ويرمز إلى الشجاعة والإقدام والوفاء، وقد قام برسم بعض الزهور بألوان متعددة، وهي: الأحمر يمثل الضوء وله تأثير إيجابي؛ فيرمز إلى الثراء وقد قام برسم زهور باللون الأزرق للصفاء والرزق، ورَمَزَ إلى

صورة رقم (6)

الزهور بالصداقة والمحبة والصفاء والاطمئنان، ورُسم أيضًا "أرنب" بمقدمة المركب وذلك لا يعُد رمز أو دلالة في الفن الشعبي، وقام الخطاط بكتابة أسم المركب باللغة الإنجليزية وذلك لم يلاحظ في جميع المراكب السابقة وقام بأطلاق عليها أسم مارسيليا، وهي: ثاني أكبر مدن فرنسا بعد باريس عاصمة البلاد، وهي مركز ثاني أكبر منطقة حضرية بعد باريس كذلك. يحدها من الجنوب البحر الأبيض المتوسط، ومن الشمال يحدها سلسلة جبال سانت فيكتوار.

صورة رقم3.

صورة رقم (7)

وفي هذه الصورة قام الفنان الشعبي بكتابة بعض الآيات القرءانية على جانبي المركب بالمقدمة بالأعلى؛ لمواجهة البحر وقام بتلوينها باللون الذي ينشّط الدماغ ويقوّي العقل وهو من أشدِّ الألوان تأثيرًا في الذاكرة حيث يعبِّر عن الفرح، الانتعاش، الدفء و يرمز إلى العقل وقدراته والفكر وأبعاده لأنه رمز التركيز الذهني والفهم، والتألُّق والإشراق، وأيضًا يرمز إلى المخّيلة والمقدرة على التصّور، وعلى الخلق والإبداع والإتقان، وقام أيضًا برسم سمكة على المركب، لجلب الرزق وهي ترمز للتفاؤل والحظ والعيش الرغد، وكثيرًا ما وجد مفردة السمكة على جسم المركب من الخارج، وهنا قد لونها الفنان باللون الأسود الذي يرمز كما يستخدمون اللون

الأسود للدلالة على سوء الحظ و التعاسة و الحزن، فالأسود لون سلبي يدل على العدمية، ورسم أيضًا العين لدرأ الحسد وحجبها عن المركب (صورة رقم 7).

وعلى سبيل المثال أثناء الحصر قام الرسام الشعبى برغبة صاحب المركب في رسم بعض الرموز ذات المدلول العقدي (المرتبط بالعقيدة) فمنها العين لصد الحسد، السمك لجلب الرزق وغيرهما.. وأيضًا دوَّن بعض الممارسات التى يقوم بها الصيادون من أغانٍ وأمثال شعبية خاصة بصيد الأسماك، وأثناء رحلة العمل فى البحر للتشجيع أثناء العمل، وكذلك أيضًا بعض الحكايات والأساطير الخاصة بالبحر والطقوس الخاصة بالحرفة وأزياء الصيادين وطرق الصيد، والإهتمام بالثروة السمكية بأعتبارها أحد مصادر الأطعمة الأساسية التي في متناول الشعب لرخص ثمنها وهى تغني عن اللحوم وتسهم في إطعام أكبر قدر من الشعب المصري، وهي حرفة وثيقة الصله بأحتياج المجتمع حيث تسد جزء من مأكله وتنوعًا في مطعمه مما جعلها واحده من الحرف الشعبية ويطبق عليها مقومات الفن الشعبي وهذا ما يتضح بعزبة البرج وفيما يلى قامت الباحثة بدراسة صناعة المراكب الخشبية؛ باعتبارها حرفة صارت ترتبط بها كثير من الأبعاد الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والبيئية وبطبيعة الحال فإنها تمثل الجانب التراثى الذى يجسد هويته الثقافية.

رابعاً: علاقة الماثورات الشعبية بحرفة الصيد.

1- معتقدات خاصة بشباك الصيد.

ارتبطت حياة الصيادين ببعض المعتقدات حول الصيد وأدواته، فنجد أن النساء يعتقدن أن شبكة الصيد لها [6]القدرة على علاج العقم، ومن ثم يطلب النساء من الصيادين عمل شبكة صيد بمقاس خِصر السيدة التي تريد الإنجاب، وقيام السيدة التي تريد أن تنجب بلفها على خصرها بثلاث رصاصات؛ لربطها بإحكام لتساعدها على الإنجاب وتقوم بفكها بعد أسبوع ثم يحدث الحمل.

2- معتقدات خاصة عن ماء البحر.

[6]ولاء أحمد محمود أحمد: رصد التنوع الثقافي في احتفالات الصيادين وتقنيات التصوير الحديث "دراسة ميدانية في محافظتي الإسكندرية وكفر الشيخ "، رساله دكتوراه، 2013، صـ55.

يقوم الصيادون باستخدام ماء البحر في الرش إما قبل رحلة الصيد في المركب أو أمام محلات المأكولات والمشروبات اعتقادا بأن ذلك سيجلب الرزق، وتقوم بعض السيدات العاقرات بجلب المخلفات الناتجة عن ولادة النساء وتطلب من الصيادين إلقاءها وسط المياه طمعًا في الإنجاب.

وفي حالة ختان الأطفال فإن الصيادين يتخلصون من الجزء المقطوع من الختان في البحر اعتقادًا في أن هذا العمل يكسب الطفل المختون العمر المديد.

3- العلاج بالأسماك بعزبه البرج.

هناك عدد من الأسماك المستخدمة في العلاج الطبيعي، ومن هذه الأسماك سمك "الشبيل" من فصيلة سمك القرش، وأيضًا سمك "العضمايه"، وهي القرموش كما يوجد سمك يطلق عليه "البطاطسايه"، وهو عبارة عن حيوان بالصخور، ويؤكل طريًا مثل ثمرة البطاطس، ويعصر عليه حمض الليمون، وهو لعلاج مرضى القلب ، وأيضًا أسماك "السبيه"التي يُستخرج منها الحبر الشينى وبيض السبيه لعلاج حب الشباب، وأيضًا يدهن منه للحروق ويحضر عن طريق وضعه في الشمس ثم بَثْرِه ووضع قليل من زيت الزيتون ثم يدهن على الجزء المصاب وهي علاج للمسالك البولية أيضًا.[7]

4- التفاؤل والتشاؤم.

أ- التفاؤل.

من الأشياء التي تزيد تفاؤل الصيادين اصطيادهم لأسماك المياس؛ فإذا وجد الصيادون أنفسهم قد اصطادوا أعدادًا من سمك المياس دل ذلك على كثرة الخير الذى سيُجْلَبُ لهم من المياه وأن ذلك علامة على قدرتهم على اصطياد كميات كبيرة من هذه الأسماك مرتفعة السعر، وتشير الدراسة إلى أنه من خلال معرفة اتجاه الرياح ومصدر هبوبها يكون التفاؤل أو عكسه؛ فهناك الرياح التي تكون مفيدة للصيادين والرياح المتقلبة التي تأتي من الجنوب؛ حيث يعتبرها الصيادون

[7] خالد محمد محمد متولي:عزبة البرج، محافظة دمياط، 2009/7/15.

مصدرًا سيئًا، أما النجوم التي تسطع قبيل الفجر مباشرة، فإن الصيادين يتفاءلون بها ويعدُّون موعد سطوعها أفضل مواقيت الصيد وأكثرها بركة حيث تتزامن مع رمي الشباك في الصباح الباكر.

ب- التشاؤم.

ومن الأشياء التي تدعو للتشاؤم عند الصيادين الصيد يوم الجمعة؛ بَيْد أن الصيادين يمتنعون عن الصيد يوم الجمعة ويمنعون حتى الأطفال من نزول البحر؛ لاعتقادهم أن هناك ساعة نحس في هذا اليوم.

5- الزي الخاص بالصيد.

يرتدي الصياد كبير السن الجلباب الفلاحي الواسع ذا الأكمام الواسعة والياقة الدائرية. وتظهر أنواع تلك الجلاليب بين اللونين الرمادي والبني الغامق، ويرتدي الشباب الملابس العادية مثل قميص وبنطلون أو تيشرت وبنطلون[8] أما قديمً فكانوا يرتدون سروال واسع وصديري(صورة رقم 8).

صورة رقم (8)
سروال الصيادين قديمًا من مركز درسات فنون شعبية

6- أساطير وحكايات البحر بعزبة البرج

هناك – بعزبة البرج- بعض القصص والأساطير التي يرويها الصيادون في رحلاتهم بالبحر، ويقول أحد الصيادين بعزبة البرج عمّا شاهده في البحر، فقد رأى في أحد الأيام جانًا

[8] ولاء أحمد محمود أحمد: المرجع السابق، صـ116:56.

بالقرب من مدينة دمياط خلال صيده بمركبه، في أثناء الليل، وقد قابل ذلك الجان في الساعة الثالثة صباحًا وقام بإلقاء التحية فلم يجبه وعند خروجه ألقى النظر عليه مرة أخرى فشاهده يلقي بشباكه في الماء في وسط البحر بدون مركب، فتأكد أنه جانٌّ، ويحكي أنه يشبه الإنسان الطبيعي. كما توجد حكايات أخرى عن جنيَّة البحر.

7- المأثورات القولية "الأمثلة الشعبية".

تعكس الأمثال الشعبية حول الصيد والبحر العديد من ثقافة ومعارف الصيادين، مثل:

- (كلب البر ولا سبع البحر): وهو يعني أن الصياد يكون مثل الكلب على البر أحسن من سبع البحر؛ لأن حياته تكون على كف عفريت.

- (ما تجيبه الرياح تاخده الزوابع): وهو يعبر عن أن الأشياء التي تأتي بسهولة من البحر ودون عناء تُفقد بسهولة.

- (اللى ينزل البحر يتحمل موجه): وهو يعبر عن مدى المخاطر التي يواجهها الصيادون في البحر، وأن من يعمل فيه عليه أن يتحمل مشقة هذا التعب والعناء.

- (اديني عمر وارميني البحر): أي إذا كانت السلامة مكتوبة لي، ولم يزل في عمري بقية فإن ألقيت باليم فلا يضر.

- (اللي ع البر عوام): أي إن الذي لم ينزل الماء في حكم السابح الماهر، وإن لم يكن يخشى الغرق.

كما يقوم الصيادون بترديد العديد من المأثورات الشعبية كنوع من التطلع إلى الرزق، من عند الله مثل ما يقال قبل البدء في **رحلة الصيد:**

- قراءة الفاتحة: فيقولون لبعضهم "قراية الفاتحة للنبي" أو" كله يقرا الفاتحه".

- (المركب اللى عليها ريسين تغرق): وهو يعبر عن أن كثرة الآراء داخل العمل الواحد في البحر تفسد العمل، فيجب أن يكون للمركب ربان واحد فقط.

- (جيت أصيده صادني): يعبر عن خيبة الأمل، إذ بعد فرحة الصياد بثقل الشباك، يكتشف خلوها من الأسماك.

- (البحر موجود والرب له وجود): وهو يعبر عن أن أيام قلة الصيد ستليها أيام رزق إذ لابد أن يرزق الله في أيام أخرى.[9]

8- أغاني الصيادين.

الأغنية البحرية هي أغنية العمل في المراكب، وقد استعان بها الصيادون في منطقة الدراسة كضرورة مصاحبة لإنجاز العمل، وتوجد لكل مرحلة من أعمال المركب أغنية خاصة بها، فقدْ كان الغناء في المركب يبدأ من بداية تجهيز المركب للرحلة؛ حيث تستمر الأغنية من البداية إلى الانتهاء من إنجاز الأعمال التي كان الصيادون يمارسونها خلال رحلتهم الطويلة. وللأغنية البحرية مناسبات كثيرة في أثناء العاصفة وفي هدوء الرياح، وقد كان البحارة يعدونها جزءًا من مستلزمات عملهم؛ فهي لا تقل أهمية عن أدوات الصيد ومعدات رحلة الصيد. وقد استخدم الصيادون في الأغاني الترفيهية معظم الآلات الإيقاعية كالطبل والدفوف وآلة العود.

النتائج

1- تراجع إنتاج وتصنيع المراكب الخاصة بالصيد ودخول بدائل اخرى ووجود كساد في الحرفة، ووجود دول منافسة ببدائل عن الخامات المحلية الصنع.

2- تضاؤل أعداد العمال المهرة في حرفة نجارة المراكب وقلة الصبيان وذهابهم إلى الأعمال ذات العائد المادي السريع السهلة التأدية وإغلاق معظم الورش لقلة الأيدي العاملة وزياده الضرائب الحكومية وهروب عدد كبير من شباب المنطقة والعمال المهرة للعمل في الدول العربية والأجنبية وهو استنزاف للطاقات المصرية.

3- دخول طرق تكنولوجية أدت إلى اختفاء الحرفة مع الوقت واختفاء معظم العدد اليدوية القديمة واستبدالها بالماكينات والعدد الكهربائية، الأمر الذي أدى إلى السرعة وعدم الدقة.

[9] ولاء محمد محمود أحمد: مرجع سابق، صـــ92:75.

4- عدم الرغبة في تعليم الآباء حرفة صناعة المراكب لأولادهم "التوريث" لعدم كسبهم منها وعدم وجود عمل وفير بها أدى إلى أن معظم العمال من كبار السن، الأمر الذي أدى إلى ضعف الحرفة واندثارها.

التوصيات

1- أنشاء مركز أو وحدة ذات طابع خاص للمساهمة في حل المشكلات التي تقابل الفنان الشعبي في الحرفة.

2- إنشاء مدرسة صناعية متكاملة: نجارة، زراعة، صناعة، لتعليم النشء حرفة صناعة مراكب الصيد وأسسها وقواعدها.

3- تدعيم الورش الشعبية والترسانات بعدد من الدارسيين والمتخصصين وتشجيعهم للإقبال على الدراسة بعائد مادي.

4- تقديم العون والإرشاد لنجاري المراكب بأحدث ما توصلت إليه الحرفة من عدد وأدوات وخامات وماكينات وأجهزة متطور.

5- إمداد أصحاب الورش بتعاقدات للتنفيذ سواء من الخارج أو الداخل والعمل على التسويق لأصحاب الورش.

المراجع

1- خالد محمد محمد متولي:عزبة البرج، محافظة دمياط، 2009/7/15.

2- عبد المنعم عاكف: أشغال النجارة العامة، الأسس التكنولوجية.

3- محمد أحمد الحسيني: فن نجارة الأثاث المنزلي، الصناعات الحرفية الصغيرة.

4- مصطفى جاد، أحلام أبو زيد، توثيق الحرف والمهن الشعبية، الحرف والمهن بمدينة القاهرة، مشروع توثيق التراث الشعبى، ج1.

5- مصطفى فريد الرزاز: دراسة الزخارف الشعبية في العربات الخشبية وأثره في تدريس التربية الفنية في المرحلة الاعدادية, جامعة حلوان: معهد التربية الفنية, أطروحة (ماجستير), 1972.

6- ولاء أحمد محمود أحمد: رصد التنوع الثقافي في احتفالات الصيادين باستخدام تقنيات التصوير الحديثة (دراسة ميدانية في محافظتي الإسكندرية وكفر الشيخ)/ إشراف: سوزان السعيد, مصطفى شعبان, وائل عبدالمنعم.- أكاديمية الفنون: المعهد العالي للفنون الشعبية, 2013..

7- يونس خنفر: صيانة وترميم الأثاث والمشغولات الخشبية المختلفة في المنزل والأثاث لأنواعه، سلسلة الفنون التطبيقية والهندسية، تكنولوجيا النجارة والديكور.